

أهداف الترجمة بين العربية والفارسية ودواعيها

الدكتور محمد شكيب الانصاري
جامعة الشهيد چمران - الأهواز

لا ريب في أن تجاور الأقوام والأمم المختلفة واتصالاتهم الاقتصادية والاجتماعية. كان من أهم أسباب الإقتباس والنقل من لغة إلى أخرى لكي يتم التفاهم بينهم في الحياة اليومية. ثم ينسحب تأثير ذلك على العلوم والآداب والتاريخ. فيخرج مترجمون يتقنون اللغات المتجاورة. وحتى غير المتجاورة لينقلوا ما تحتاجه شعوبهم من علوم الشعوب الأخرى وأدائها.

ولم يشذ عن ذلك الشعبان المتجاوران العربي والفارسي عن هذا المنهج الطبيعي... وهذا ما يتحدث عنه الدكتور الأنصاري في مقاله التحقيقي القيم فيما يلي:

الفلسفية والعلمية والادبية من اليونانية والهندية، ومن اللغات الراجحة حينذاك الى اللغة الفارسية القديمة. مثلما كان يجري في جامعة جندي شاپور في شمال الأهواز آنذاك. وبعد ظهور الاسلام، واعتناق الإيرانيين الدين الجديد، وتعلمهم اللغة العربية، أخذوا يترجمون الكتب الفارسية الى العربية. كما فعل ابن المقفع الذي ترجم كتاب «كليله ودمنه» وكتاب «خدائنامه» وكتاب «الأدب الكبير» و «الأدب الصغير» وتراجمه آخرون جاء ذكرهم في فهرست ابن النديم. واستمرت حركة الترجمة في ايران حتى عصرنا الحاضر، فماذا كانت

عني الإيرانيون منذ أقدم الأزمنة بأمر الترجمة. ففي العهد الأخميني القرن السادس قبل الميلاد، ونظرا لاتساع رقعة الامبراطورية الإيرانية آنذاك. واختلاف السنة شعوبها، كان الملوك الأخمينيون يؤرخون الحوادث ويكتبون الغرامين والمراسيم بثلاث لغات. من بينها اللغة الفارسية القديمة. كما فعل داريوش الكبير في تدوين كتيبة قناة السويس. الموجودة حاليا في متحف القاهرة، وفي غيرها مما عثر عليه في طاق بستان في محافظة كرمنشاه، وفي ابادانا في شيراز. ثم إن ملوك ايران القدامى قد اهتموا ايضا بنقل الكتب

أهدافها ودواعيها؟

الخطوط السامية سمي بخط «الهزوارش». واسلوب هذا الخط هو كتابة الكلمات المكتوبة بالخط السامي المستعمل آنذاك، وقراءة معادلها بالفارسية القديمة. فمثلاً حرف الجر الفارسي «أز» كان يكتب «من» ويقرأ «أز». وهكذا «دشت» تكتب «يد»، وتقرأ «دست»، و«روز» تكتب «يوم» وتقرأ «روز»، و«شب» تكتب «ليل» وتقرأ «شب»^{٢٢}. وحتى الخط الذي كتبت به النصوص الدينية القديمة «افستا» كان سامياً في الاصل^{٢٣}. وبعد ظهور الاسلام، واعتناق الايرانيين الدين الحنيف، أصبحت الترجمة ضرورةً دينيةً تمثلت بترجمة القرآن الكريم، وما يتعلق بأمر الدين الجديد من العربية الى الفارسية. يقول أبو عثمان الجاحظ في «البيان والتبيين» عن موسى بن سيار الأسواري أنه كان من أعاجيب الدنيا وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه الى الفرس. فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدرى بأي لسان هو أبين؟^{٢٤} وهكذا أصبحت الترجمة ضرورةً دينيةً لدى الايرانيين. يتعرفون من خلالها أصول دينهم، وتعاليم كتابهم المقدس (القرآن) والى جانب ذلك كله، كانت الترجمة في صدر الاسلام ضرورةً اداريةً وسياسيةً، إذ إنّ دواوين الدولة الاسلامية خاصةً ديوان الخراج في العراق (مركز الدولة الساسانية ومحل عاصمتها طيسفون (المدائن) الواقعة جنوب بغداد)، كانت تكتب باللغة الفارسية.

بعد سنة ٨٤ هـ - ق فكرت الحكومة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان وواليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بتعريب الديوان. فكلفت رئيس الديوان المدعو صالح بن عبد الرحمن السيستاني تلميذ زاذان فروخ الرئيس السابق للديوان بهذا الأمر. وكان صالح السيستاني هذا قد أجاد اللغة العربية وتمرس فيها،

إن اهداف الترجمة في ايران قبل الاسلام كانت سياسية، إدارية، علمية، وأحياناً دينية، ولأنّ علوم العرب وآدابهم وقتئذٍ كانت شفوية، فلم نقرأ أن الايرانيين كانوا قد ترجموا من العربية شيئاً، أو أن العرب قد نقلوا علوم الفرس الى لغتهم، وكل ما نعرفه عن تلك الازمنة الغابرة هو أن بعض الحكايات والأساطير الفارسية كانت متداولة بين عرب الحجاز، عند بدء الدعوة الاسلامية، وأن المفردات الفارسية قد وردت في أشعار بعض الشعراء الجاهليين، أو كما أشرنا آنفاً أن داريوش الكبير قد أمر في عهد الغراعة بحفر قناة السويس. ولعل اسم السويس هو مصغّر (السوس) عاصمة الأحمينيين شمال الأهواز. وأرخ داريوش ذلك العمل في كتيبة عثر عليها في منطقة القناة، جاء فيها^{٢٥}: «أنا داريوش الفارسي أمرت بحفر هذه القناة، فحفرت كما أمرت، واخذت السفن تمر من خلالها...» هذه الكتيبة دونت بثلاث لغات: البابلية، والمصرية، والفارسية القديمة. ونعرف ايضاً أنه كان في بلاط الساسانيين مترجمون عرب ذوو لسانين، يجيدون العربية والفارسية مثل عدي بن زيد، وزيد بن عدي، علاوة على ذلك فإن الآثار المكتوبة الباقية منذ عهد ماد حتى انقراض الدولة الساسانية تثبت بما لا يقبل الشك أنه كان بين العرب والفرس تبادل لغوي وعلمي وثقافي من خلال استخدام الخطوط السامية في كتابة اللغة الفارسية القديمة، سواء الخط المسماري الذي أخذوه من سكان بين النهرين الذين هاجروا من الجزيرة العربية واخترعوا الخط المسماري للكتابة حينذاك، أو الخط السامي الآرامي الذي أصبح الخط الرسمي في الكتابة. هذا وتشير الوثائق التاريخية الى أن كتاب الدواوين في الدولة الساسانية كانوا من العنصر السامي الآرامي وغير الآرامي، وقد اخترعوا خطأً جديداً لكتابة اللغة الفارسية القديمة على اساس من

أهداف الترجمة بين العربية والفارسية ودواعيها

ابن النديم مخلصاً في فهرسته^{١٦} قد اشتهروا بالترجمة ونقل الكتب من الفارسية القديمة الى العربية. لكننا اليوم لا نعرف عن تلك الترجمات الكثيرة إلا النزر القليل. وكما يقول الدكتور محمد محمدي، استاذ جامعة طهران سابقاً: «إن تلك الترجمات إما فقدت على مرّ العصور والأزمان، وإما قد اندمجت واختلطت مع الكتابات العربية الأخرى. مثل كتب التاريخ والحكمة وغيرها». والایرانيون في عصرنا الراهن من أجل الاطلاع على تاريخهم القديم، وثقافتهم السالفة يلزمهم معرفة اللغة العربية التي تعد مصدراً أساساً وفريداً من مصادر التاريخ والثقافة الإيرانية. فهذا كتاب كلية ودمنة مثلاً ترجم في العهد الساساني من اللغة الهندية الى الفارسية القديمة، وفي العصر العباسي نقله المترجم الإيراني عبد الله بن المقفع الى العربية. ثم ترجم بعد قرون من العربية الى الفارسية الحديثة.

الجدير بالذكر أن أشد المتعصبين للغة الفارسية اليوم ليسوا في غنى عن معرفة اللغة العربية. فمثلاً إبراهيم يور داود (رحمه الله)، مع تعصبه الشديد، اضطر في كتابه «تاريخ الثقافة الإيرانية القديمة» الى مراجعة ستة عشر مصدراً عربياً قديماً، ذلك لان كتب التاريخ والأدب العربي تعد من المصادر الاصلية التي تطرقت الى تاريخ ايران والحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية للإيرانيين سابقاً. يقول الجاحظ في باب الخطابة والخطباء: «وقد علمنا أن اخطب الناس الفرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاماً وأسفلهم مخرجاً، وأحسنهم دلاً، وأشدّهم فيه تحكماً أهل مرو، وأفصحهم بالفارسية الدرية أهل قصبه الأهواز»^{١٧}. وابن النديم في فهرسته يشير الى مجموعة من الكتب الفارسية التي ترجمها عبدالله بن المقفع مثل: «كليلة ودمنة» وكتاب «خدائنامه» وكتاب «الآئين» (أئين نامه)، وكتاب «الأدب الكبير» و «الأدب الصغير» وكتاب «اليتيمة» في الرسائل^{١٨}. ويفرد ابن النديم أيضاً أبواباً

علاوة على اللغة الفارسية، لغته الأصلية، إذ كان من أهالي ولاية سيستان الإيرانية. وينقل المؤرخون حواراً ظريفاً جرى بين صالح السيستاني الذي كلف بالتعريب وزملائه من أبناء جلده في الديوان المذكور. جاء فيه: «سأله مردان شاه بن استاذ زاذان فروغ: وكيف تصنع بـ «ذهويه» و«بيستويه»؟ قال: وأكتب «عشر» و«نصف العشر». قال: وكيف تصنع بـ «أیدی»؟ قال: وأكتبه «أيضاً». قال: وما تصنع بـ «وند»؟ قال: «الوند»؛ النيف، والزيادة تزداد»^{١٩}. وفي العصر العباسي ازداد التفاعل الثقافي بين الأمتين العربية والإيرانية، فالثورة على الحكم الأموي بدأت من خراسان وكان على رأس القوى الثائرة أبو مسلم الخراساني. وبعد تسلم العباسيين لمقاليد الخلافة، ظهرت أسراً إيرانية في الساحة السياسية، وتقلدت ارقى المناصب في الدولة الجديدة أمثال أسرة البرامكة وبني سهل، وازداد التفاعل الثقافي واللغوي والأدبي بين العربية والفارسية، والعرب والفرس أكثر من ذي قبل. فقد عاش الشعبان معاً منذ العصور الغابرة. ولم يكن الفرس، ولم تكن لغتهم وآدابهم بغريبة على العرب، بل كانت الصلات وثيقة والعلاقات قائمة بين ايران والحجاز. بين ايران ومصر، بين ايران واليمن، بين ايران والعراق. وكانت اللغة الفارسية القديمة (الفهلوية) لغة العلم والحضارة في العصر العباسي، لغة الحكم والادارة. لغة الأدب والخطابة، وتبادل الرسائل، وكتابة التاريخ والسير، والدولة الاسلامية الحديثة التي اتخذت عاصمتها شمال العاصمة الساسانية «المدائن»، وبنيت قصورها من أجر قصور كسرى واعوانه. وفي بستان العدل «باغ داد»، كانت بحاجة ماسة الى الوزراء والمدراء والاعوان الإيرانيين. وكانت تواقّة للاطلاع على سير الملوك وآدابهم، وأساليبهم في الادارة والحكم. فاتجهت الى الترجمة وشجعت المترجمين الذين نقلوا تراث ايران الى العربية، هؤلاء المترجمون الذين ذكرهم

بالحضارة الفارسية والفكر الفارسي. وهذا التطور أو التحول الذي نقل أدب العربية من وصفه بأدب عربي الى كونه أدباً إسلامياً، ما كان ليحدث لولا هذا الخصب أو الثراء الذي أمدته به هذه الحضارة. ولولا التزاوج بين المزاجين الأدبيين للشعبيين العربي والفارسي تحت لواء الاسلام في وثبته الظاهرة^{١٨}. وهكذا فإن دوافع الترجمة ودواعيها كانت في الحقيقة، ضرورةً سياسية وادارية ووطنية أولاً، وحاجةً دينية عقيدية ثانياً، وضرورة لغوية وأدبية ثالثاً. ومن أجل تحقيق تلك الاهداف، والاستجابة لتلك الدواعي، فقد قامت حركة علمية اكااديمية على الصعيدين الجامعي والحوزات العلمية الدينية في ايران، خاصة بعد قيام الجمهورية الاسلامية. فوفقاً للمادة السادسة عشرة من الدستور الجديد، يجب تدريس اللغة العربية بعد المرحلة الابتدائية وحتى نهاية المرحلة المتوسطة في جميع الصفوف والحقول الدراسية. وفي المرحلة الابتدائية ايضا هناك درس التربية الدينية والقرآن الذي يتضمن ترجمة النصوص القرآنية واحاديث الرسول (ص) وشرحها باللغة الفارسية. وعلى الصعيد الجامعي فقد فتحت فروع اللغة العربية في أكثر من ثلاثين جامعة وكلية حكومية وغير حكومية. وفي الدراسات العليا، أصبحت دراسة الدكتوراه في اربع جامعات، ودراسة الماجستير في ثماني جامعات من ضمنها جامعة شهيد چمران بالأهواز، بعد أن كانت دراسة الدكتوراه قبل قيام الجمهورية الاسلامية تنحصر بكلية الالهيات في طهران، ودراسة الماجستير تنحصر بفرع واحد بجامعة طهران. أما الحوزات العلمية الدينية فمناهج الدراسة فيها هي كما كانت عليه منذ قرون، يعني دراسة كتب الفقه والاصول والحديث والتفسير والکلام وغيرها المؤلفه باللغة العربية، ويكون تدريسها بترجمتها وشرحها للطلاب باللغة الفارسية، وإذا ما عرفنا أنه توجد في كل مدينة لا يقل عن أربع حوزات

اللغة والأدب أن يفهمهما وأن يدركهما ما لم يدرس العربية وعلومها وآدابها المنظوم منها والمنثور. لذا فإن طلاب اللغة الفارسية الى جانب دراستهم الادب الفارسي، فإنهم يدرسون عشرين وحدة دراسية في الصرف والنحو والبلاغة وتاريخ الادب ونصوصه بالعربية. ولهذا السبب بالذات ظهرت قديما وحديثا معاجم لغوية عربية فارسية وبالعكس. ولهذا السبب ظهرت الترجمات والشروح والحواشي لكتب الادب الفارسي وفنونه لتوضيح المفردات والمقتربات العربية التي تتخلله^{١٩}.

وواقع الامر أن المفردات العربية البسيطة والمركبة منها تشكل نسبة عالية من المعجم اللغوي الفارسي، وقد تصل هذه النسبة الى أكثر من أربعين بالمائة من مفرداته. وأن أكثر شعراء ايران وأدبائها القدامى كانوا ينظمون الشعر باللغتين العربية والفارسية. وخلاصة القول إن العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية بين الشعبيين العربي والفارسي كانت في أغلب الأزمنة قائمة على أساس من روح التعاون والاحترام المتبادل، خاصة بعد ظهور الاسلام الذي وحد الشعبيين على أساس من الدين والعقيدة. وإن التفاعل الثقافي والتبادل الحضاري بين الأمتين ولغتيهما وآدابهما كان جاريا تسوده روح التألف والتقارب. وهذا ما ترك آثاره جلية في تينك اللغتين وآدابهما حتى الآن، وكما ذكر استاذنا الجليل المغفور له الدكتور صلاح رمضان الصاوي في كتابه «قطاع في تيار التفاعل بين الادبين الفارسي والعربي»^{٢٠}: «لا شك في أن الحضارة الفارسية، بمقوماتها العريقة وتجاربها الانسانية الخصبة، قد مثلت ركنا ركيناً في تشييد صرح الحضارة الاسلامية، وأنها أمدتها بالكثير من العوامل الفعالة في ازدهار جوانبها المتعددة، خاصة الجانب الادبي، إذ الحقيقة الواقعة أن الادب العربي لم يحدث له أن تأثر حتى أوائل عصر النهضة الحديثة بحضارة أو فكر ما، قدر تأثره

أهداف الترجمة بين العربية والفارسية ودواعيها

- ١- تصحيح الدكتور محمد، مجلة كلية الآداب، طهران، العدد ٣ و ٤ لسنة ١٣٤٩ هـ. ش.
- ٢- ابن ندیم، الفهرست، ص ٢٢٤ وما بعدها، ط. طهران.
- ٣- الجاحظ، البيان والبيان، ج ٣، ص ٣٩، ط. بيروت.
- ٤- الفهرست، ص ١٣٢، ط. طهران.
- ٥- المصدر السابق، ص ٣٤٠.
- ٦- المصدر السابق، ص ١٣٢.
- ٧- المصدر السابق، ص ٣٧٧ و ٣٧٨.
- ٨- نسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٨، ط. مصر.
- ٩- الفهرست، ص ١٣٢ و ٣٧٦.
- ١٠- ترجمتها تقاضي رفيع الدين بن محمد الهمداني المتوفى سنة ٦٢٣ هجري قري.
- ١١- الدكتور السيد محمد دامادي، مضامين مشترك در ادب فارسي وعربي، منشورات جامعة طهران.
- ١٢- طبع ايران، مؤسسة الهدى لنشر وتوزيع.
- ١٣- الدكتور صلاح رمضان لصاوي، فضاء في تيار لتفاعل بين لادين فارسي وعربي، مقدمة لاولى.

علمية، يظهر لنا مدى اهتمام الايرانيين اليوم باللغة العربية والترجمة والنقل المكتوب والشفوي عنها. ولا بأس هنا أن نذكر بعض الكتب الدراسية في الحوزات العلمية الدينية اليوم، كشاهد لما ذكرنا

يبدأ الطالب بدراسة العلوم العربية، فيدرس كتاب «الصرف» للشيد مير شريف الجرجاني صاحب كتاب «التعريفات»، ثم كتاب «التصريف وشرحه» للزمخشري، ثم كتاب «العوامل» للجرجاني وكتاب «الهداية في النحو»، قيل انه للزمخشري، ثم يبدأ بدراسة شرح السيوطي لكتابي «ألفية ابن مالك»، و«معنى اللبيب» لابن هشام الانصاري - وشرح «المطول والمختصر في البلاغة» لسعد الدين التفتازاني، و«المنطق» للشيخ المظفر ثم الكتب الفقهية والاصولية والكلامية وكتب التفسير الأخرى.

ونضيف هنا في مجال الدراسة الجامعية، أن اللغة والعلوم العربية تدرس في فروع الاسلاميات بميزان ٤٠ وحدة دراسية من أصل ١٣٥ وحدة في مرحلة الليسانس. تشتمل على الصرف والنحو والبلاغة والترجمة والمحاذثة وتاريخ الادب العربي. فحري بنا اليوم نحن علماء ومتعلمين أن نعتبر بماضيها الزاهر، ونتفهم ضرورات عصرنا الحاضر ومن أجل حياة أفضل لشعبينا العربي والايрани اللذين وحدهما الاسلام تحت راية التوحيد معلناً ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنْ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونَ﴾ فنتعاون ونتواصل في جميع المجالات، خاصة العلمية والثقافية منها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والهوامش

- ١- حسن بيرنيا، تاريخ ايران باستان، ج ١، ص ٥٦٨.
- ٢- الدكتور مهدي باقري، تاريخ زبان فارسي، ص ٧٧، ط. طهران.
- ٣- المصدر السابق، ص ٧٨.
- ٤- الجاحظ، البيان والبيان، ج ١، ص ١٣٩، ط. بيروت.
- ٥- أصل الرواية نيلادري في فتوح السندان، ط. مصر، ص ٣٦٨.